## الحماسة والفخر:

**الحماسة لغة :** القوه والشدة والشجاعة ، وقوم حمس متشددون في الدين ، وحمّس غيره شجعّه وحرّضه والحماسة فن الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال،،ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحى وقتلى ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما الى ذلك ،فهو بجملته فن البطولة.

وما دام هذا الضرب من الشعر يصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء كان لا بد لهذا الشعر ان يكون ــ مع الغزل ــ في طليعة الفنون انتشاراً ،واقربها الى نفس البدوي خاصة والعربي عامة ،ولذلك فليس غريباً ان يكون حظ المجاميع الشعرية من الحماسة الحظ الاوفر فكثير من شعر المفضليات والأصمعيات والوحشيات هو شعر حماسة،بل غلبت على مختارات ابي تمام والبحتري فكانت الفن الاول الذي ابتدأ به ، وغلب اسمها على الكتابين فسمى أبو تمام مختاراته (ديوان الحماسة) وكذلك فعل البحتري .

وشعر الحماسة ـ الى كثرته ــ من اصدق الاشعار وأقواها وأشدها أثراً في النفوس ،ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرساناً يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة ،وأنْ لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاورة الواقع.

والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد الشاعر منه معانية الحربية فيعرض في شعرة صوراً من اهوال القتال وما يكون فية من كرّ وفرّ وجرحى وقتلى وصياح وقتام،وما يلتمع فيه من سيوف ودروع وتروس وتكاد تسمع اصوات الرماح تتكسر على الرؤوس ، والسهام وهم يتراشقون بها فتستقر الصدور والأفئدة ، وهذا الحصين بن الحمام المرّي يعرض جانباً من معركة خاضها وأبلى فيها وقومة بلاءً عظيماً ، يقول :

**ولما رأيتُ الودّ ليس بنافعـــي وان كان يوماً ذا كواكب مظلما**
**صبرنا وكان الصبرُ فينا سجيةً بأسيافنا يقطعن كّفاً ومعصما**
**يُفّلْقن هاماً من رجالٍ أعـــزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما**

وذهب الشعراء يتباهون ببطولتهم ومضاء أسلحتهم ويتغنون بالمثل العليا التي جعلتهم فرساناً لا يهابون الموت ، فهم شجعان ابداً يقذفون أنفسهم في المخاطر ويخوضون غمرات المنية ويأبون الذل ويأنفون من الصغار والجبن والهزيمة ، والنصر حليفهم في المعارك ولذة النصر ونشوته جعلتهم يكثرون من ذكر المعارك التي اوقعوا فيها بأعدائهم وما كسبوا من مغانم ،أهمها سبي نساء أعدائهم.

أمّا الفخر فضرب من الحماسة وهو التغني بالفضائل والمثل العليا ،والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية ، والزهو بالفعال الطيبة ،والذ احاديث المرء عنده هو حديثة عن نفسة وخصالة وفعالة من الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الاصيل وكثرة المال والولد الى غير ذلك مما يزهو به الانسان ويختال به على غيره.

ويكره الناس الحديث عن النفس والتباهي بالخصال ويعدونه غروراً وادعاء الا في الشعر فأنه مقبول مستساغ وقديماً اشار الى ذلك ابن رشيق بقولة"ليس لأحد من الناس أن يطري نفسة ويمدحها في غير منافرة ، الاّ ان يكون شاعراً ،فأن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه"

ولعل ذلك ان القارئ يتعاطف مع الشاعر ويشاركه مشاعره حين يتغنى بالمثل العليا،فيكون قد عبّر عن خواطر وأمنيات القارئ ،واذا كان الفخر يستساغ ويستملح في الشعر فذلك لأن عنصر المبالغة التي تسود شعر الفخر مقبولة في الشعر مرفوضة في غيره،وقد وقد دارت قصائد الفخر على الشجاعة

واليأس والنجدة ومنح الجارات وإجارة المولى وإطعام الفقراء وإكرام الضيف وبذل المال وإيثار الآخرين
ويمكن تقسيم الفخر قسمين: فخر فردي وفخر قبلي .

وأشهر قصيدة عرفت في الفخر هي قصيدة عمرو بن كلثوم التي بلغت أربعة ابيات ومائة وكلها فخر وحماسة،وقد كانت تغلب قبيلة الشاعر تعظم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها ، يقول الشاعر فيها :

**وقد علم القبائل من معـــــدً أذا قُببٌ بأبطحها بُنينـــا**
**بأنا المطعمون إذا قدرنـــــا وانا المهلكون أذا ابتلينـا**
**وأنا المانعون لما أردنـــــا وانا النازلون بحيث شينا**
**وانا التاركون اذا سخطنـــا وأنا الآخذون اذا رضينـا**
**وأنا العاصمون أذا أطعنـــا وأنا العازمون اذا عَصينـا**
**ونشرب أن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كَدَراً وطينا**
**ملأنا البحر حتى ضاق عنـــا وماء البحر نملؤه سفينـا**
**إذا بلغ الفطام لنا صـــــبيٌّ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينـا**

وافضل من هذا الصياح المتعالي ،فخر من يفخر بشجاعته وقوته ويقر للآخرين بالفضل والبسالة ، وهذا الإقرار اقرب الى روح الفروسية والرجولة ، والفارس في المعركة لا يحقق النصر دائما فالحرب سجال يوم له ويوم عليه ،فإذا انتصر افتخر بقوته وشدة بأسه ولا يهجو عندئذ أعداءه المنحدرين ،بل يذكر صبرهم في الحرب وحسن بلائهم ، واذا اندحر الفارس ونال منه خصمة أقر بقوة عدوه وكثرة رجاله وشدة بأسهم وأنه قد صبر وأبلى ففاقه النصر ،وهذا الضرب من الشعر الذي لا يحتكر الشجاعة لجانب دون أخر،هو الذي عرف بشعر الأنصاف وقصائده المنصفات ،وقد شهد من هؤلاء الشعراء مجموعة من ابطال الجاهلية والإسلام منهم :عمرو بن معد يكرب الزبيري ،والعباس بن مرداس السلمي، وعنترة بن شداد العبسي، والمفضل النكري ، وعبد الشارق بن عبد العزى، وغيرهم كثير، ومن جياد قصائد الانصاف قول عبد الشارق الجُهني :
نقتطف منها هذه الأبيات :

شددنا شدةً فقتلتُ منهـــم ثلاثة فتيتة وقتلت قِيْنـــــا
وشدّوا شدةً أخرى فجرّوا بأرجلِ مثلهم ورموا جُوينا
فأبو بالرماح مكسّـــرات وأبْنا بالسيوف قد أُنحنَينَـــا

**خصائص شعر الفخر:**

١.**صياغة المثل الاعلى للإنسان** : يلتقي شعر الفخر في شعر المدح بملتقى واحد :هو اشتراك الغرضين في صياغة المثل الاعلى للإنسان العربي الجاهلي فإذا استخلصت الفضائل والمآثر التي يباهي بها شعراء الفخر بنوعية الفردي والقبلي وضعت يدك على العناصر التي صنع منها الشعر الجاهلي الأخلاق والقيم التي ظلت تنتقل من جيل الى جيل ، والناس يتلقونها بالإكبار، ولا نبالغ اذا زعمنا ان كثيراً من القيم الجاهلية ظلّت تعيش حتى العصر الحاضر في أعماق النفس العربية ، وتشارك بصورة ظاهرة او خفية،في رسم السلوك العربي،وتميز الفضيلة من الرذيلة،وتحكم كثيراً من علاقاتنا الاجتماعية.
٢. **انطواء شعر الفخر على احداث كثيرة وخطيرة في العصر الجاهلي** ، وعلى اسماء الابطال الذين صنعوا هذه الاحداث ، فهو في هذا الجانب يعدّ مصدراً من مصادر التاريخ العربي ،اختلفت فيه الحقائق

بالأساطير ،والوقع بالخيال،لذلك اتسعت أفاقة الحياة البدوية،في سلمها وحربها،وحلّها ورحَالها،وحيوانها ونباتها وآلاتها.

٣.**صدق العاطفة وعمق التجربة وواقعيتها** ذلك ان الشعراء كانوا انفسهم فرساناً يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة ،وان لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع.

٤.**يتميز شعر الفخر بالصور الحية المتحركة** ، وبالألوان الحادة الناطقة ، وبالبراعة في وصف الحرب والخيل والاسلحة ،فالرؤوس تتدحرج على الارض كأنها كرات يقذفها على ارض صلبة :

**يُدهْدون الرؤوس كما تُدهْدي حزاورةٌ بأبطحها الكُرينا**

والثياب تصبغ بلون ارجواني من الدماء التي تسيل عليها من اجسام المتحاربين:

**كأن ثيابنا منّا ومنهم خُضِبْنَ بأرجوانٍ أو طلَينا**

٥. **قوة الايقاع وشدّة جرسه** كقول المفضّل النكري:

**رمَيْنا في وجوهم برشقٍ تغضّ ُ به الحناجرُ والحلوق**
**بكل قرارةٍ منّا ومنهـــم بنان ُ فتىً ،وجمجمة ُ فليق ُ**